

مقدمة المترجم

هذا الكتاب من أغنى الكتب التي وفقني الله أن أقرأها، فهو بحث شاق قام به المؤلف خلال ما يزيد على عشر سنوات، اشترك فيه مع نخبة من علماء الاجتماع والاقتصاد والقانون والسياسة، وكذلك علماء الحواسيب والبرمجة وتخصصات أخرى لا علاقة لها بالبحث. وأشرك أيضاً عدداً من طلبة الدراسات العليا في جميع المجالات المذكورة؛ لذا خرج الكتاب وكأنه حديقة غناء تضم عدداً من الأزهار والفواكه المتنوعة، وقد غطى بأسلوب ممتع وشيق خمسة حقول من مجالات العلوم؛ إذ بحث في علم الاجتماع موضعاً مدى تأثير شبكات التواصل الاجتماعي في سلوكيات المجتمعات العالمية وكيف استطاعت المجتمعات أن تسهم في إنشاء الأسواق الافتراضية وظهور البرمجيات المجانية والإنتاج التعاوني وتأثيره في سلوكيات المجتمع، وتعمق في علوم الاقتصاد مركزاً على اقتصاد المعلومات المترابطة وتأثير الشبكة العنكبوتية العالمية على الاقتصاد العالمي ومقارنة ما أسماه "الاقتصاد التعاوني" مع الاقتصاد الصناعي.

وتحدث أيضاً في مجال السياسة العالمية والعدالة والمساواة بين الدول الغنية والفقيرة، وكيف أثر الإنتاج التعاوني على الديمقراطية في العالم، وكيف أثر التطور التقني في تحرير الشعوب، موضعاً محاولة الحكومات الاستبدادية الحجر على تدفق المعلومات التي ترى أنها تضر بمصالحها، مبيناً التحديات التقنية للإجراءات التي تستخدمها تلك الدول لمنع مواطنيها من الوصول إلى المعلومات. كما ناقش بشكل خاص التشريعات والقوانين المتعلقة بالاتصالات السلكية واللاسلكية منذ بداياتها، عندما كانت تعتمد

على الموجات الطويلة والتضمين التناظري، وحتى الاتصالات الرقمية والقنوات عريضة النطاق المستخدمة هذه الأيام. موضعاً الصراعات والجدل الذي انفجر بين الشركات المصنعة للأجهزة بجميع أنواعها في الولايات المتحدة وأوروبا، وتدخل الحكومات ومجلس النواب ومحاولة كل جهة أن تسيطر على هذه الصناعة. ويبحث بعمق في قوانين الملكية الفكرية وتأثيراتها وقوانين حماية قواعد المعلومات في كل من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية مع مقارنة بين تلك القوانين وتأثير قوانين حقوق الملكية الحصرية على إنتاج الدول الفقيرة وتسلط الدول المتقدمة عليها. كما أنه لم يهمل المجال التقني حيث بحث بأسلوب ميسر في تقنيات الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي وطريقة ترابط المواقع في شبكة الإنترنت ونقل وتبادل المعلومات وتطرق كذلك للقرصنة الإلكترونية وتاريخ نقل المعلومات التي تهتم المجتمع والفوائد التي تصب في مصلحة مجتمعات البحوث العلمية على مستوى العالم.

وقد أمضى المؤلف أكثر من عشر سنوات من البحث والنقاش وورش العمل التي اشترك فيها أهم العلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات والطلاب في جميع المجالات المذكورة أعلاه، وكثير منهم قد أسهموا في إثراء هذا الكتاب كما يتضح من الشكر والتقدير الذي وضعه المؤلف لأولئك العلماء والمراجع التي في نهاية الكتاب.

وأخيراً أرجو الله أن أكون قد وفقت في اختيار عمل يفيد الأمة، ويثري المكتبة العربية، وأسأله عز وجل أن ينفع به الناس، ويفتح لهم أبواباً جديدة للتفكير والعمل المثمر.



مقدمة المؤلف: شكر وتقدير

إنني أعدّ قراءة مسودة هذا الكتاب كرمًا وعملاً بطوليًا، أدين به لكل من قام به وساعدني على تجنب بعض الأخطاء التي لم أكن أستطيع تلافيها دون مساعدتهم. لقد أمضى بروس أكرمان "Bruce Ackerman" ساعات لا تحصى من الحديث معي، والقراءة في تحدٍّ كبير لمحتويات الكتاب وأجزائه منذ عام 2001م. لذلك أدين كثيرًا له على مفهومه لمعاني الصداقة. كما أن جهود جاك بالكين "Jack Balkin" لم تقتصر فقط على قراءة المسودة، ولكنه قدمها في ندواته، وهو كرم عظيم منه وفرضه كذلك على الزملاء في جمعية المعلومات في جامعة ييل، ثم أمضى معي ساعات طويلة من العمل لتوضيح القيود والعثرات التي وجدها. كما أن كلاً من مارفن أموري "Marvin Ammori" وأدي باركان "Ady Barkan" والإزار باركان "Elazar Barkan" وبيكي بولن "Becky Bolin" وإستر هارجيتي "Eszter Hargittai" ونيفا الكين كورين "Niva Elkin" وكورن "Koren" وأيمي كابوزينسكي "Amy Kapczynsky" وإيدان كاتز "Eddan Katz" وزاك كاتز "Zac Katz" ونمرود كوزلوفسكي "Nimrod Koslovski" وأورلي لوبل "Orly Lobel" وكاثرين مكدانييل "Kathrine McDaniel" وسيفا فيدهاياناثان "Siva Vaidhyanathan" جميع هؤلاء قرؤوا مسودة الكتاب وقدموا كثيرًا من الأفكار والرؤى بالإضافة إلى أن مايكل أومالي "Michael O'Malley" من مطبعة جامعة ييل يستحق شكرًا خاصًا لمساعدتي على اتخاذ القرار لكتابة هذا الكتاب الذي رغبت حقًا في أن أكتبه، وساعدني كذلك على تحديد المسار.

لقد أمضيت أكثر من عشر سنوات في كتابة هذا الكتاب. فجزوره تعود إلى عام 1993م و1994م وقضيت ليالي طويلة من الحوار مع نيفا الكين كورين "Niva Elkin Koren"، حسب ما يسمح به وقت طالب الدراسات العليا ناقشنا خلاله الديمقراطية المرتبطة بالفضاء الإلكتروني، وكذلك كان هناك سلسلة من النقاش المفيد مع ميتش كابور "Mitch Kapor" وعدد من الجلسات الخيالية مع تشارلي نيسون "Charlie Nesson"، ولحظة تفاهم حقيقي مع موغلين أبين "Eben Mglen". وبشكل محوري خلال ذلك الوقت كان هناك ورقة بإشراف تيري فيشر "Terry Fisher" تبحث في عقارات الأسرة في القرن التاسع عشر وفي حياة الجمهوريين المتشددين وسلسلة من الفصول الدراسية والأوراق التي تم مناقشتها مع فرانك متشلمان "Frank Michelman" ودنكان كينيدي "Duncan Kennedy" ومورت هورواتز "Mort Horwitz" وروبرتو أنجر "Roberto Unger" وديفيد تشارني "David Charny" كل ذلك دفعني للتفكير الأساسي لدور الملكية الخاصة والتنظيم الاقتصادي المتعلق ببناء حرية الإنسان. ويعود الفضل لفرانك متشلمان "Frank Michelman" الذي علمني أن أصعب شيء هو ما تؤديه بحرية تامة.

لقد كنت منذ ذلك الوقت، محظوظاً في عقد الصداقات الفكرية واللقاءات العديدة والمتنوعة، مع جمع من الأصدقاء المتخصصين في مختلف المجالات والعلوم، الذين سلطوا الضوء على جوانب متعددة لهذا المشروع. فقد التقيت لاري ليسينغ "Larry Lessing" للمرة الأولى في عام 1998م. وخلال الحديث ساعتين، تكونت بيننا صداقة وحوار فكري أصبح محورياً أساسياً لعملتي منذ ذلك الحين. لقد قام بدور محوري في تغيير فهم المجتمع للسيطرة والحرية والإبداع في البيئة الرقمية، على مدى السنوات القليلة الماضية. كما أنني أمضيت ساعات طويلة تعلمت فيها من جيمي بويل "Jamie Boyle" وتيري فيشر "Terry Fisher" وإبين موغلان "Eben Moglen" خلال تلك السنوات، فقد كان لكل منهم تأثير كبير على أعمالي بطرق وأساليب مختلفة. وكان هناك لحظات بين فعاليات المؤتمرات التي ينظمها "بويل" في جامعة ييل خلال عام 1999م أو جامعة ديوك في عام 2001م، للحوارات الساخنة بين عدد من الناس الذين لديهم اهتمامات

مشتركة، وينتمون لحركة فكرية واحدة، بدرجات متفاوتة من التواصل المتبادل، ويسعون بحماس كبير لاستخدام المال العام في إنتاج المعلومات والابتكارات بشكل عام وإنفاقه على تطوير البيئة الرقمية المترابطة على وجه الخصوص. وفي سياقات مختلفة، قبل هذه المدة وخلالها، تعلمت الكثير من "جولي كوهين" و"بيكي أيزنبرغ" و"بيرنت هوجينهولتز" و"ديفيد جونسون" و"ديفيد لانج" و"جيسكا ليمان" و"نيل نيتانيل" و"هيلين نيسينبوم" و"بيغي رادين" و"آرتي راي" و"ديفيد بوست" و"جيرري راخمان" و"بام سامويلسون" و"جون زيتراين" و"ديان زيمرمان". والممتع في هذا المجال هو الأوقات التي عشتها مع التقنيين والاقتصاديين وعلماء الاجتماع وغيرهم ممن لا تمت تخصصاتهم بشكل مباشر لأي من هذه المجالات. وكثيراً منهم كانوا يتحملونني بدرجة كبيرة وقد تعلمت منهم الكثير. وأخص بالذكر سام باولز "Sam Bowles" الذي أدين له بالشكر وكذلك "ديف كلارك" و"ديوين هندريكس" و"ريتشارد جيفرسون" و"ناتالي جيرميونكو" و"تارا ليماري" و"جوش ليرنر" و"أندي ليمان" و"ديفيد ريد" و"تشاك سابل" و"جيرري سولتزر" و"تيم شيبيرد" و"كلاي شيركي" و"إريك فون هيبيل". أما فيما يتعلق بنظرية القانون الدستوري والسياسي، فقد استفدت في وقت مبكر ومازلت من آراء "إد بيكر" الذي قضيت معه ساعات طويلة لمناقشة كل نقطة أو مشكلة واجهتني في مسائل النظرية السياسية التي تناولتها في هذا الكتاب؛ كما أن "كريس إيزجروربر" و"ديك فالون" و"لاري كريمر" و"بيرت نيوبورن" و"لاري ساقار" و"كاثلين سوليفان" جميعهم ساعد على بناء عناصر مختلفة من هذا الكتاب.

وقد تم معظم العمل في جامعة نيويورك، التي وفرت لي بيئة فكرية ومساحة قانونية آمنة لبحث آراء غير تقليدية لدرجة كبيرة في مدرسة القانون بالجامعة. وعندما كنت أشترك في ورشة عمل في عام 1998م قال لي أحد الأصدقاء الزائرين: "لا يوجد مدارس قانون كثيرة تسمح لك أن تعد الملكية العامة عاملاً مهماً في قوانين المعلومات" وخاصة أنني عضو غير متفرغ في هيئة التدريس وأتحدث في صالة مملوءة بعلماء القانون والاقتصاد، دون أي تأثير لمستقبلي المهني. وقد ساعدني بشكل خاص مارك جيستفيلد "Mark Geistfeld" على البحث في اقتصاد المشاركة - حيث قضى معي أوقاتاً

ممتعة على شاطئ البحر ونحن نراقب أطفالنا يلعبون بين الأمواج. واستفدت كذلك من كرم آل إنجلبيرج "Al Engelberg" وهو الشخص الممول لمركز "إنجلبيرج" لقانون الإبداع والسياسات ومن خلال طلبة وزملاء هذا المركز تعلمت الكثير وكذلك آرثر بن "Arthur Penn" الممول لمعهد قانون المعلومات الذي عقدت فيه دروس فكرية رائعة مثل مؤتمر "علوم بيئة المعلومات الحرة في البيئة الرقمية" الذي جرى في عام 2000م وسلسلة ورش العمل التي أصبحت فيما بعد مشروع الطيف المفتوح. وخلال تلك الفترة، كنت محظوظاً للغاية أن أعمل مع طلاب زملاء راعين بطرق متنوعة أسهمت في إثراء هذا الكتاب وأخص بالذكر "جيجا برنشتاين" و"مايك برنشتاين" و"جون كوزين" و"جريج بومرانتز" و"ستيف سنايدر" و"ألان تونر". ومنذ عام 2001م أصبحت سعيداً عندما التحقت في المجتمع الفكري في كلية القانون بجامعة ييل، أولاً بوصفي زائراً ثم ومازلت عضواً منتظماً. ويُعدّ الكتاب في شكله الحالي وبنيته والموضوعات التي تم التركيز عليها انعكاس مباشر لانغماسي العميق في هذا المجتمع الرائع. فكل فرد من زملائي قد قرأ الموضوعات التي كتبها خلال هذه الفترة وحضر ورش العمل التي قدمت فيها هذا العمل وقدم تعليقات ساعدت على تحسين مواد الكتاب. لذا فأنا مدين بالشكر لكل واحد منهم، والشكر موصول لـ "توني كرونمان" الذي أقتعني بجودة هذا العمل. وذكر بعضهم قد يؤدي إلى التقليل من إسهاماتهم. ومع ذلك يلزمني أن أوجه إليهم الشكر الجزيل وأدين لأي شخص أسهم معي ولم أذكر اسمه.

إن إبراز مسائل الاقتصاد يُعدّ شرطاً مسبقاً للدخول في صلب المتطلبات السياسية. فقد عمل كل من "بوب إليكسون" و"دان كاهان" و"كارول روز" بعمق في موضوع التبادلية والإنتاج المعتمد على المال العام. بينما وضع لي "جيم وتمان" علاقة الهدايا بالعلوم الإنسانية "الإنثروبولوجيا". أما "إيان آيريس" و"رون دانيالز" و"آل كليفورك" و"جورج بريست" و"سوزان روز أكرمان" و"ألان شوارتز" فقد قدموا مزيجاً من الشك الذي أحتاج إليه، وساعدوا على بناء الحوار الذي بدد ذلك الشك وأكد اليقين. وساعدني كذلك "أخيل عمار" و"أوين فس" و"جيرري ماشوا" و"روبرت بوست" و"ريفا سيغال" و"كينجي يوشينو" في العمل على كتابة المعايير والمسائل الدستورية. أما التحول الذي

أخذت به وجعلني أركز على التنمية العالمية بوصفها جانباً جوهرياً لتطبيق العدالة - كما شرحتة في الفصل التاسع - فقد نتج عن دعوة من "كوه هارولد" و "أونا هاثاواي" للتحديث في الندوة المتعلقة بالعولة، وتعليقاتهم المفيدة للورقة التي قدمتها. وكان التأثير الأكبر على هذا العمل يعود إلى "إيمي كابزنسكي" التي عملت زميلة في جامعة ييل ومعها عدد من الطلبة الذين طلبوا مني العمل معهم على سياسة ترخيص الجامعة، ومن بينهم "سام تشيفترز".

والغريب، أنني لا أملك التعبير الصحيح والمناسب لتقديم الشكر لشخصين أكنّ لهما المديونية، وهما والدي الذي ترك المدرسة الثانوية واتجه للفكر والقراءة، فقد توفّر وهو في ريعان شبابه، ولا يمكن له أن يتخيل الجلوس مثلي مع أبنائه ولديهم أعظم مكتبة في تاريخ البشرية وهم جالسون معنا على طاولة العشاء، لكنه لو شاهد ذلك سيعشقه. والآخر هو "ديفيد جريس" الذي أمضى ساعات طويلة يوجهني في أول عمل لي في القانون واشترى لي نسختي الأولى من كتاب "ستنك ووايت" وعلمني الكتابة باللغة الإنجليزية ولا بد أن مشاعره ستجرح عند قراءة هذه الكلمات، وأخشى أن يعدني مرتبطاً بعمل غير منضبط كهذا البحث، الذي يحتوي على جمل طويلة جداً مليئة بالبندود والتركيبات المعقدة أكثر مما تحتاجها الأفكار البسيطة للغاية.

أخيراً، لأفضل صديق ورمز الشراكة في هذا الصراع الذي نسّميه «الحياة» إلى ديبورا شراج التي شاركتني كل شيء لطيف منذ أن كنا بالكاد بالغين.

